سلسلة إصدارات مركز المحتسب للاستشارات (١)

الاحتساب
مسؤولية وحساب

عبدالله بن فهد السلوم

الاحتساب
مسؤولية وحساب

عبد الله بن فهد السلوم

الاحتساب مسؤولية الحساب.indd 1 26/08/33 04:21:52 م

حقوق الطبع محفوظة

ح

عبدالله بن فهد السلوم ١٤٣١م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السلوم، عبدالله بن فهد

الاحتساب مسؤولية وحساب./ عبدالله بن فهد السلوم-

الرياض، ١٤٣١هـ

٦٤ ص، ١٤×٢٠ سم

ردمك: ٥-٦٤٥٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١-الحسبة أ. العنوان

ديوي ٢,٢٥٧ ١٤٣١/٩٩١٩

رقم الإيداع: ١٤٣١/٩٩١٩

ردمك: ٥-٦٤٥٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 2 26/08/33 04:21:53 م

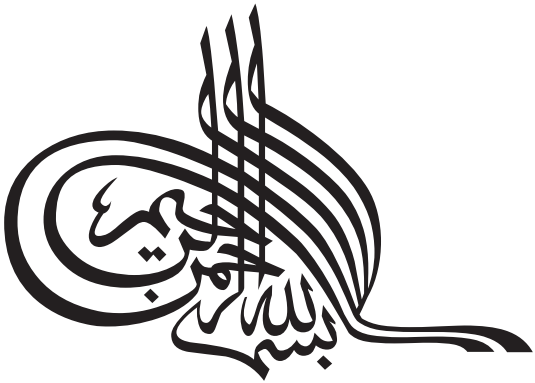

الاحتساب مسؤولية الحساب.indd 3 26/08/33 04:21:53 م

مقدمة

الحمد لله الهادي إلى سواء السبيل، والصلاة والسلام على المحتسب الخليلٍ أحمده سبحانه نوّر قلوب المؤمنين بمحبته والعمل بطاعته، وأظلمت قلوب المفسدين بمعصيته، والصد عن سبيله.

وبعد فإليك – أخي المسلم – وقفات مختصرة مفادها التنويه بشأن الاحتساب الذي غفل عنه الكثير وتعذروا عنه بأعذارٍ واهية، ذلك أن الاحتساب فريضة الوقت، وعنوان خيرية الأمة، وبناء مجدها وعزها. وبإهماله ينتشر الفساد، ويقوى جانب المفسدين، فتحلّ النقم وتمحق البركات، ويتسلط الأعداء، وتحيط اللعنة، ويحل غضب الله علينا.

وليس الغرض من هذا البحث بيان فقهه وأساليبه ووسائله ودرجاته ودقائق مسائله، وإنما قصدتُ تحفيز الهمم لخوض غماره، والتنادي للاجتماع من أجل التربية على الاحتساب، وتأسيسه ليكون عملاً جماعيًا يعيش في قلب الأمة، وتطبقه في واقعها الأليم.. فلو قام كل مسلم بالاحتساب على حسب قدرته وفي محيطه لقلّ الفساد، وقوي سوق الفضيلة بين الناس، وحلّت البركات، ورضي الله عنا، وأصبح صاحب

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 5 26/08/33 04:21:53 م

المنكر يحسب ألف حساب لغيرة الصالحين ويعتذر منهم ويتوارى بمنكره على الأقل، وتحققت الخيرية للأمة.

أما الواقع اليوم فإن المنكر الفردي أو المنكر العام يضرب بأطنابه علنًا على مرأى المسلمين ومسامعهم، فلا يجد من ينكر عليه، أو يتمعر لذلك إلا من رحم ربي وهذه حال مؤذنة ـ والعياذ بالله ـ بسخط الله فيخشى من غرق السفينة وحلول الفتنة التي تعمّ الصالح والطالح، ولا ينجو منها إلا المصلحون، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[الأنفال: ٢٥].

وانظر ـ أخي المبارك ـ بعين البصيرة كيف آلت الحال بالبلاد الأخرى من تعارف على المنكر وقيام الحياة عليه بطريقة رسمية وشعبية وفردية، وأصبح المتمسك بدينه الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر هو الغريب الشاذ النادر الذي يسبح ضد تيار الفساد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نعم صار الحال كذلك لما قصّر الدعاة بواجبهم، وسكت الأخيار فقلّ الناصح، واستشرى الفساد، وسنة الله في المدافعة بين الخير والشر قائمة معلومة فإذا ضعف الإنكار ازدادت الشرور، وإذا قَوِيَ الإنكارُ وتعاون المسلمون عليه قلّت المنكرات وهكذا. قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ ﴾[البقرة: ٢٥١].

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 6 26/08/33 04:21:54 م

وإليك – أخي مريد الخير – مسائل هذا البحث:

- تعاريف مختصرة.
- أهمية الاحتساب وخطورة التقصير فيه.
- حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- لماذا انحسرت الحسبة في الأمة؟ (أحد عشر سببًا).
- كيف ننمي الاحتساب في ضمير الأمة؟ (عشر موقظات).
- وقفات للمحتسبين (سبع عشرة وقفة).
- الخاتمة.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 7 26/08/33 04:21:54 م

تعاريف مختصرة[1]

المعروف: هو اسمٌ جامعٌ لكل ما عُرف من طاعة الله، والتقرب إليه والإحسان إلى الخلق وقيل: هو ما عُرف حسنه شرعًا وعقلاً.

المنكر: ضد المعروف، وهو ما عُرف قبحه شرعًا وعقلاً.

الحِسبة:

في اللغة: مصدر من الاحتساب وهو طلب الأجر. والاحتساب لغة من الحَسب من العدّ كالاعتداد.

وفي الاصطلاح: أمرٌ بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهيٌ عن المنكر إذا ظهر فعله.

هل الحسبة مرادفة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو مخالفة له؟

البعض يراها مرادفةً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويرى آخرون أنها نوعٌ منه والظاهر أن بينهما عمومٌ وخصوص من وجه.

(١) من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ للشيخ خالد بن عثمان السبت، (ص٢٣) وما بعدها.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 8 26/08/33 04:21:54 م

فالحسبة أعمّ بمفهومها الواسع، فعمل صاحب الحسبة لا يقتصر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخصّ، فالأمر بالمعروف لا يقتصر على الأمر به حال تركه، وكذا في إنكار المنكر فلا يقتصر النهي عنه عند فعله، بل حثُّ الناس على الخير وتوعيتهم وتحذيرهم من الشر. كل ذلك داخلٌ في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

❊ ❊ ❊

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 9 26/08/33 04:21:54 م

أهمية الاحتساب وخطورة التفريط فيه

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو وصية الله للأولين والآخرين، للقيام بأمره والدعوة إلى دينه، والانتهاء عن نهيه والتحذير من سخطه، فهو رسالة الأنبياء والمرسلين وسبيل الدعاة إلى دينه والمجاهدين في سبيله. ولقد اكتسبت الأمة المحمدية الخيرية ونالت شرفها بسبب قيامها بهذا المَعْلم العظيم، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إن الغرض العظيم من القيام بهذه الشعيرة هو تعبيد الناس لله تعالى، وتشريفهم بطاعته وتربية قلوبهم على خشيته ومحبته ورجائه لِتُنيب القلوب إلى الله تعالى، فتحبه وتذكره وتهنأ بذكره وتصفو بمناجاته والاستجابة إليه، فأكرِم بهذا المَسعى من شرف وأعظم به من عزّ.

إن القيام بهذا الأمر العظيم سببٌ في رضا الله وحلول البركات، وصلاح الحال، وطيب المآل والنصر على الأعداء، وإجابة الدعاء والقيام به سبب في ردع المعاند، وتعليم الجاهل وردّ الضال إلى الحق، وهو سببٌ في نشر الدعوة، وشد ظهور أهل الحق، والقيام بواجب النصرة للمحتسبين الذين يدافعون عن الدين وعن أعراض الأمة ليرفعوها عن

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 10 26/08/33 04:21:54 م

سلوك أسباب الهوان والهلاك.

قال أَبوهُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ عند قوله تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ؛ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يدْخُلُوا فِي الإِسْلامِ»[1].

فبيّن الله سبحانه أن هذه الأمة خير الأمم للناس فهم أنفعهم لهم وأعظمهم إحسانًا إليهم؛ لأنهم كملوا أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر من جهة الصفة والقدر، حيث أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر لكل أحد[2].

(١) صحيح البخاري، كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَاب (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)، (٦/ ٣٧).

(٢) رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٩).

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 11 26/08/33 04:21:55 م

خطورة التفريط فيه

إن ترك هذه الرسالة العظيمة أو التهاون بها سببٌ لسخطِ الله، ومحقِ البركات وتمردِ الأشرار وعتوِّ الفجار وانتشار الرذائل وسببٌ في المهانة والخسران، وتسلطِ الأعداء وسبب في ضعف الإيمان وتجرئة ضعاف النفوس وسبب في تهوين قدر الحق والقائمين به.

أخي المسلم: إن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعظم إذا زاد التعدي على حدود الله تعالى والتهاون في أوامره، وها نحن اليوم نرى بعض المنكرات وتعامل الناس معها على أنها حقٌ جائز ووضع عادي بسبب السكوت والتهاون.

وأصبح الآمر الناهي في نظر الجاهلين فضوليًا متدخلاً في شئون الغير، معتديًا على حرياتهم الشخصية، وظنّ الجاهلون أن القيام بأمر الاحتساب خاص بموظفي الهيئات الرسمية فقط.

قال النووي ـ رحمه الله ـ: «ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات. بل ذلك جائز لآحاد المسلمين. قال إمام الحرمين: والدليل عليه إجماع المسلمين فإن غير الولاة في الصدر الأول والعصر الذي يليه كانوا يأمرون الولاة بالمعروف

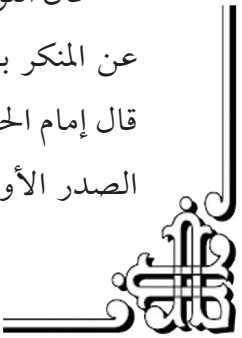

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 12 26/08/33 04:21:55 م

وينهون عن المنكر من غير ولاية والله أعلم»[1].

أخي المحتسب: إن غربة الغيرة وضعف الاحتساب وفشو الجهالة سبَّبَ سوءَ النظرة إلى المحتسبين على أنهم متشددون لا يفقهون يسر الشريعة وسماحتها وأنهم يتدخلون فيما لا يعنيهم.

قال الإمام أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ: «اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين والمهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لفشت الضلالة وشاعت الجهالة، وخربت البلاد وهلك العباد، فنعوذ بالله أن يندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وأن ينمحي بالكلية حقيقته ورسمه، وأن تستولي على القلوب مداهنة الخلق وتنمحي عنها مراقبة الخالق، وأن يسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وأن يعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم، فلا معاذ إلا به، ولا ملجأ إلا إليه»[2].

قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، وإلا كنتم أنتم الموعوظين»[3].

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٢٣).
(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (١/ ١٥٩).
(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال (١/ ٢٧).

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 13 26/08/33 04:21:55 م

وها نحن أمام بعض نصوص الوحيين تبيّن لنا خطورة التفريط في هذا الجانب العظيم والركن الركين من هذا الدين.

قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[المائدة: ٧٨، ٧٩].

وقال المصطفى ﷺ: «**وَيلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ مِثلُ هذِهِ**»، وحلّق بأُصبُعيهِ الإبهام والتي تليها، فقالَت زينب رضي الله عنها: يَا رَسُول الله، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ**»(١).

وقال ﷺ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يأخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أوشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ**»(٢).

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»(٣).

(١) رواه البخاري (٤/ ١٣٨) ومسلم (٤/ ٢٢٠٨).
(٢) رواه أبو داوود (٤/ ١٢٢) وأحمد (١/ ٢٠٨) وصححه الألباني.
(٣) سنن الترمذي (٤/ ٤٦٨) وحسنه الألباني.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 14 26/08/33 04:21:55 م

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

حكمه: فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإذا لم يقم الفرض الكفائي أثِمَ الساكتون جميعًا، لقوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾ [المائدة: ٨٧-٩٧].

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «وكذلك وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يجب على كل أحد بعينه، بل هو على الكفاية كما دل عليه القرآن، ولما كان الجهاد من تمام ذلك كان الجهاد أيضًا كذلك، فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه أثِم كل قادر بحسبه إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته، كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»[1]»[2].

(١) رواه مسلم (١/ ٦٩) وابن ماجه (٢/ ١٣٣٠) وأحمد (١٨/ ٤٢).

(٢) رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية صـ٢١ـ.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 15 26/08/33 04:21:55 م

لماذا انحسرت الحسبة في الأمة؟!

لقد تعارف أكثر أهل الخير والصلاح على السكوت عن النهي عن المنكر، فمنهم المستقيم بنفسه القائم على أهل بيته، ومنهم طالب العلم المنشغل بعلمه المغتنم لوقته ببحثه، ومنهم المستغرق في دروسه في حلق المساجد وقاعات الجامعات وفصول الدراسة، ومنهم الداعية الواعظ المبلغ رسالة ربه.

ومنهم المربي القائم على تربية الشباب المعتني بصناعة الجيل، ومنهم الكاتب والإغاثي والشاعر المهتم بقضايا الإسلام والمسلمين وغيرهم ممن سار في قاطرة الخير والإصلاح وهؤلاء كلهم على خير وكلٌّ على ثغر يساهم لدينه بسهمه.

ولكن المحزن المستغرب تجافي الكثير من أولئك الصالحين الدعاة البررة عن شعيرة الاحتساب والتهاون بها.

ومن أسباب ذلك:

(١) التنشئة والتربية الأولى التي لم تحرك في القلب موضوع الاحتساب والدعوة إليه.

(٢) الإلف والعادة، فلقد تعود الكثير على نمطٍ من الحياة فألفه

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 16 26/08/33 04:21:55 م

واستصعب غيره.

(٣) تأثير الصحبة والأقران البعيدين عن ميادين الاحتساب.

(٤) استصعاب أمر الاحتساب، وأن فيه مواجهة الناس بأخطائهم والوهم بأن التعرض للإنكار سبب في نزول قدر الإنسان وقيمته الاجتماعية.

(٥) التخوفات الموهومة أو الكامنة في النفس من التوجس والمساءلة والمتابعة أو توقع المكروه من المحتسَب عليهم أو غير ذلك من وساوس الشيطان التي لا تنتهي.

(٦) الجهل بالحكم مما يعطي الساكت شعورًا بالأمان والطمأنينة وعدم الشعور بالحرج الشرعي من التفريط في هذا الواجب العظيم.

(٧) البحث عن مبرر للقعود يريح النفس من عناء الإنكار مثل الاكتفاء بموظفي الرئاسة أو أن الفرض الكفائي قائم وهو كافٍ أو أن التطوع الاحتسابي ممنوع أو عدم جدوى الإنكار أو غير ذلك من المبررات.

(٨) الاقتداء والتقليد لبعض العلماء والدعاة والصالحين الذين لا يرفعون رأسًا بالإنكار ولا يسعون في هذا السبيل.

(٩) ضعف الغيرة بسبب ضعف الإيمان.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 17 26/08/33 04:21:55 م

(١٠) اليأس من الإصلاح والنظر إلى فشو المنكرات وظهورها نظر الضعف واعتقاد العجز عن مقاومتها.

(١١) الاندفاع والحماس غير المنضبط المؤدي إلى الإسراع في إزالة المنكرات وعدم الصبر والتأني والتدرج المشروع؛ مما يؤدي إلى التصدي إلى ما لا يقدر عليه.. ثم بعد الانفعال والاندفاع المتوتر المستمر المتصادم مع الواقع يؤول الأمر إلى الملل والتشاؤم ثم الترك.

(١٢) الجبن والخوف أمام الباطل. والله عز وجل يقول: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

(١٣) إيثار الدنيا على الآخرة، فيخشى البعض من زوال مركزه أو وظيفته أو دنياه.

(١٤) سوء فهم البعض للاحتساب فيظن الاحتساب هو معاملة الناس بالشدة والزجر، أو التعرض للأخطاء، وينسى أن الشرع الحكيم أمر بالحكمة والموعظة الحسنة.

(١٥) عدم استشعار لوازم الأخوة الإسلامية، فالمسلم مرتكب المنكر أخي في الله، فكما أحب الجنة لنفسي فيجب أن أحبها لأخي، وكما أكره الوقوع في النار، فيجب أن أكرهها لأخي المسلم. فقيامي بالاحتساب على أخي أو قيامه عليَّ يجب أن يكون الدافع لكلانا النصح ومحبة الخير.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 18 26/08/33 04:21:55 م

كيف ننمي الاحتساب في ضمير الأمة؟

إن علينا أن نشيع الاحتساب في الأمة ونطبعها عليه بما يلي:

أولاً: معرفة الواجب الشرعي:

والتأكيد على خطورة وعظم السكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأمل أخي الناصح لنفسه هذا الكلام القيم لابن القيم ـ رحمه الله ـ حيث يقول: «وقد غرّ إبليس أكثر الخلق بأن حسن لهم القيام بنوع من الذكر والقراءة والصيام والزهد في الدنيا والانقطاع، وعطلوا هذه العبوديات فلم يحدثوا قلوبهم بها، وهؤلاء عند ورثة الأنبياء من أقل الناس دينًا فإن الدين هو القيام بما أمر الله به فتارك حقوقه التي يجب عليه أسوأ حالاً عند الله ورسوله من مرتكب المعاصي، فإنَّ ترْك الأمر أعظم من ارتكاب النهي من أكثر من ثلاثين وجهًا. ذكرها شيخنا رحمه الله في بعض تصانيفه، ومن له الخبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ وبما كان عليه هو وأصحابه رأى أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس دينًا والله المستعان»[1].

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٢١).

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 19 26/08/33 04:21:56 م

أخي المحتسب: إن علمك بالواجب الشرعي الذي تثاب على فعله وتعاقب على تركه، وإن يقينك بسخط الله على من عصاه وتعدى حدوده وتهاون في أوامره ـ يسوقك ويعينك على القيام بامتثال أمر الله ويجعل في قلبك الخوف الشديد من غضب الله عليك مستحضرًا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[الأعراف: ١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[المائدة: ٧٨، ٧٩].

وقوله ﷺ: «**لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوْنَهُ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»[1].

ثانيًا: حسن الظن بالله تعالى:

وأنه ينصر من ينصره، ويؤيد من يدعو إليه، ويدافع عن دينه، ويرفع قدر وذكر من يقوم بأمره صابرًا محتسبًا لا يبتغي إلا وجه الله، وأن يستحضر العبد أنه مأمور بالبلاغ، وليس من شأنه التغيير وهداية القلوب والوصول إلى النتائج المبتغاة، فإذا قام المحتسب بواجبه الشرعي سقط عنه التكليف وبرئت ذمته ورضي الله عنه.

(١) سبق تخريجة.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 20 26/08/33 04:21:56 م

وأما الأثر الناتج بعد الأمر والنهي فيتولاه الله سبحانه مبدل الأحوال وهادي القلوب، قال تعالى: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾[الرعد: ٤٠].

ثم لنعلم أن الله تعالى ناصرُ دينه، ومُعلي كلمته، ومعز أوليائه، وجاعل العاقبة الطيبة لهم، وله سبحانه الحكمة البالغة في تصريف الأمور وتغيير الأحوال، وعنده تعالى القدر المكتوب متى يزول ذلك المنكر وكم سيبقى وما سبب زواله وعلى يدِ مَن سيزول، ولنعلم أن وقوع المنكر بقدر الله وحكمته، وأن قلوب أصحاب المنكرات بيد الله لا بأيدينا، وأنه سبحانه قادرٌ على هداية الخلق أجمعين وإصلاح أحوالهم كلهم ولكن له الحكمة البالغة والتدبير التام؛ حيث أقام في هذه الحياة سنة المدافعة وسوق الجهاد للابتلاء والامتحان.

قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد: ٤].

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 21 26/08/33 04:21:56 م

وإن من سوء الظن بالله تعالى اليأسَ من الإصلاح والاعتراف بالعجز أمام الباطل، والتخاذل عن نصرة الحق، وتعميم صولة الباطل وأهله، والخوف منهم والتخذيل والوهن. يقول النبي ﷺ: «**مَنْ قَالَ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**»(١)، ومن سوء الظن بالله تعالى النظر إلى المحتسبين على أنهم الضعفاء المغلوب على أمرهم، وأنهم متهمون مستذلون وليس بيدهم شيء.

والصحيح أن ذلك من ضعف اليقين والجهل بالله وسوء الاعتقاد، وإلا فإن من قام بالحق فهو المنصور، وهو ولي الله تعالى، وهو العزيز الشريف الواثق بوعد ربه المعتمد على تأييده ونصره وحفظه، قال سبحانه: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** ﴾[الحج: ٣٨].

ثالثًا: شرف الرسالة:

إن الذي تقوم به أيها المحتسب الداعي إلى الله شيءٌ عظيم ومهمة شريفة، لا يقدر قدرها إلا الله تعالى، ذلك أن الذي يدفعك للاحتساب هو الامتثال لأمر الله والتعظيم له سبحانه والغيرة للحرمات والدفاع عن الأعراض وكفّ السوء ونشر الخير والفرح باستجابة الناس والشفقة عليهم من غضب الله.

(١) رواه مالك في الموطأ (٥/ ١٤٣٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٤).

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 22 26/08/33 04:21:56 م

وهذا الذي تقوم به هو رسالة الأنبياء والمصلحين وخيار الأمم والندرة من الناس الذين نذروا نفوسهم لكفّ الشر والدفاع عن الدين وتحقيق رسالة الإصلاح. فلا يهون عليك هذا السبيل، وارفع به رأسك، وإذا قمت به صادقًا فاعلم أن الله تعالى يحبك حيث شرّفك بحمله واختارك من صفوته، فافرح بهذا الشرف وامنحه حياتك ووقتك وفكرك وعلمك ومالك وكل ما تملك، واعلم أن الله معك يهديك ويعليك وينصرك ويسددك، ولا يُذِلك ولا يخيب مسعاك، ولا يرد دعاءك.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فإذا قام العبد بالحق على غيره وعلى نفسه أولاً، وكان قيامه بالله ولله لم يقم له شيءٌ، ولو كادته السموات والأرض والجبال لكفاه الله مؤنتها، وجعل له فرجًا ومخرجًا، وإنما يؤتى العبد من تفريطه وتقصيره في هذه الأمور الثلاثة أو في اثنين منها أو في واحد»[1].

أخي المحتسب: إن من قام حاملاً هذا الشعور تعلّق بالله وزاد إيمانه وارتفعت همته وسمت نفسه فلا تحركه ردود الأفعال فقط ولا يصده تخذيل ولا تجزعه بُنيَّات الطريق، وليست مهمته ذلك المنكر بذاته بل هو صاحب رسالة ذات هدفٍ سامٍ وطريق طويل يروض نفسه عليه مستعينًا بالله واثقًا بنصره لمن صدق معه على سبيل رسول الله ﷺ.

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٢٢).

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 23 26/08/33 04:21:56 م

رابعًا: أن يكون الاحتساب عند المسلم وِردًا يوميًا:

وعبادة لا تنفك عنه حضرًا وسفرًا، قائمًا وقاعدًا، يمسي عليه ويصبح؛ ليكون جزءًا من حياته يأمر وينهى ويشفق على المنحرفين، ويحزن على معصية الله تعالى جهارًا قال يحيى بن يمان: «سمعت سفيان يقول: إني لأرى المنكر فلا أتكلم فأبول أكدم دمًا»(١)، وقال: «إذا أثنى على الرجل جيرانُه أجمعون فهو رجل سوء لأنه ربما رآهم يعصون فلا ينكر ويلقاهم ببشر»(٢).

إن اعتياد المحتسب لهذا العمل يهوّنه عليه ولا يجد في ذلك حرجًا، بل إنه يجد انشراح الصدر، وقوة اليقين، وصلاح الحال، وتيسير الأمور، وزيادة الإيمان.

ومن كان كذلك وجد الحرج والضيق في السكوت وترك الأمر والنهي ووجد كذلك الخوف من الله تعالى إذا قصّر في أمره وهان عليه.

قال الشيخ حمد بن عتيق ـ رحمه الله ـ: «فلو قدّر أن رجلاً يصوم النهار ويقوم الليل ويزهد في الدنيا كلها وهو مع ذلك لا يغضب ولا يتمعر وجهه ولا يحمر لله، فلا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، فهذا الرجل من أبغض الناس عند الله وأقلهم دينًا، وأصحاب الكبائر أحسن حالاً عند الله منه»(٣).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٨).
(٣) الدرر السنية (١/ ٨٥).

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 24 26/08/33 04:21:56 م

خامسًا: نشر ثقافة الاحتساب في المجتمع:

وتسهيل القيام به وأنه عبادةٌ عظيمة لله تعالى ملازمة للعبد كصلاته وصيامه وورده، وبث الوعي به من خلال الخطب والمواعظ والمحاضرات والندوات في المدارس والجامعات والبيوت والمساجد، من أجل ترسيخ القناعة بأهميته، وأنه ليس فقط على الجهات الرسمية وليس خاصًا بالعلماء والدعاة، بل هو واجبٌ على كل مسلم ومسلمة ناصح لنفسه ودينه.

والنبي ﷺ وصانا جميعًا بهذا فقال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ** ـ ثلاثا ـ» قلنا: لمن؟ قال: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْـمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[1].

وإذا بدأنا في بث الوعي في الاحتساب تدريجيًا، مُبيِّنين فقهَه وآثاره الحميدة وخطورة التفريط فيه، وحلول البركات بفعله وأنه واجب الجميع، فتعودت الأسماع وتهيأت النفوس وشعرت بالحرج من التقصير، عند ذلك يصبح الاحتساب في الأمة تيارًا عامًا يحمله كل مسلم، وإذا وصلنا إلى هذا انحسرت المنكرات وضاقت بأهلها السبل وأصبح المنكر نشازًا مرفوضًا كلٌّ يتكلم فيه وينكره بما يستطيع، ثم إذا تحرك عامة الناس للإنكار ساق ذلك التحرك العلماء والدعاة، وشعروا بأنهم لابد أن يتحركوا مع الناس.

(١) رواه مسلم (١/ ٧٤).

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 25 26/08/33 04:21:57 م

ومما يسهل ذلك أن يعلم أن الإنكار لا يعني التعرض للأخطار والمساءلات ومواجهة المسئولين، والتوقيع على الخطابات والبرقيات، فهذا لابد منه، ولكن له أهله من العلماء والدعاة والمحتسبين أما عامة الناس فكلٌّ ينكر على حسب استطاعته وقناعته بأهمية إنكار هذا المنكر أو ذاك.

سادسًا: اجتماع أهل الغيرة وتفاهمهم:

للتنسيق والدراسة وتوضيح الخطط والأهداف وتحريك غيرهم لعقد اللجان المتخصصة وإثراء البحث في كيفية الاحتساب، وتوحيد الجهود وترتيب الزيارات؛ من أجل الوصول إلى تأسيس هذا العمل وتثبيته ليكون عملاً واضح الخطط والأهداف ذا برنامج عملي.

وإذا اتحد العاملون وصاروا يدًا واحدة سهُل عليهم الأمر ونشطوا وشد بعضهم بعضًا، وكتب الله الخير على أيديهم وهذا الإجراء هو فريضة اليوم، وهو الضرورة الشرعية الحاضرة؛ لأن المنكرات ليست أخطاء أفراد هنا وهناك أو حالات تطرأ بل المنكرات يخطط لها وترصد لها الأموال والجهود والطاقات بشكل علني.

فهذا السيل الهادر من المنكرات المعد لها يحتاج إلى اجتماع الجهود والأفكار وتوزيع المسئوليات لمقاومته والتنادي للنصيحة قبل أن تغرق السفينة فيهلك الجميع ولا ينجو إلا المصلحون.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 26 26/08/33 04:21:57 م

سابعًا: تربية الشباب على الاحتساب:

ليكون ركنًا من أركان الدعوة لا ينفصل عنها فكما نربي أولادنا وطلابنا وشبابنا على بر الوالدين والخشوع في الصلاة والمحافظة عليها ونربيهم على حسن الخلق والآداب الإسلامية الفاضلة، كذلك يجب أن تشملهم التربية على الاحتساب علمًا وعملاً وفقهًا وسلوكًا، لينشأ الشاب متوازنًا بأخذ الدين كله وتنمو في قلبه الغيرة للدين ويتربى على الإيجابية والبذل، وأنه ليس الغرض من تربيته ليكون رجلاً صالحًا بنفسه فقط يقدم له كل شيء وهو المحمول إليه دائمًا، بل نريده أن يكون صالحًا مصلحًا يأخذ ويعطي ويتعلم ويعلم ويستفيد ويفيد نريده رجلاً في الميدان واثق الخطى يعنيه أمر أمته، وتقُضّ مضجعه آلامُها كل ذلك بفقه وعلم مضبوط بضوابط الشرع، بلا إفراط ولا تفريط.

ونريد أن يتربى الشباب على الهمة العالية والتربية الجادة ليفهموا أنهم أشبال أسود التوحيد، وأنهم جزءٌ لا ينفصل من قاطرة الإصلاح الممتدة عبر التاريخ، من لدن أبينا ونبينا آدم عليه الصلاة والسلام، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، مع الطائفة المنصورة التي تقوم عليها الساعة والتي لا يضرها من خالفها.

إن هذا الهدف الكبير حين يتربى الشاب عليه ثم يعتاده يُنمي فيه روح الانتماء لهذا الدين ليأخذ الأمر بجديةٍ فيعد نفسه لهذا ويربي غيره

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 27 26/08/33 04:21:57 م

عليه. فهل يسعى المربون والآباء والأمهات وأهل الشأن لتحقيق مثل هذه الأهداف العظيمة، فيربون الناشئة عليها لتكون حلمًا يبيت في قلوبهم ليخرجوا للأمة أبطالاً مغاوير وأغيارًا يسهرون لعز أمتهم لينهضوا بها من كبوتها بعد ذلها ومهانتها؟! فالله المستعان وعليه التكلان.

ثامنًا: تربية النفس:

إن المصيبة الكبرى هي مصيبة النفس؛ فلابد من محاسبتها على التقصير وسوقها مساق الجد والبذل وطرد داعي التسويف والكسل وتقليد القاعدين الراكنين إلى حظوظ أنفسهم فاليوم السباق والفرصة واحدة لا فرصتين والحياة لحظة عابرة لا يدري العبد ما مدته فيها، وغدًا تنقطع الأعمال ويبدأ الحساب.

إن النفس مركز الاهتمام والاتهام، ففيها العجز والكسل وفيها محبة النقد واتخاذ المعاذير لتبرير القعود وفيها الحسد للأقران. وربما لو رأينا من ينشط في الاحتساب ويغار للدين بحثنا عن الملاحظات عليه لنقنع أنفسنا بالاعتذار وفي النفس محبة طرح المسئولية على الغير ولوم الآخرين ولوم الأوضاع والتذمر من سبل المفسدين دون أن نلوم أنفسنا وربما إذا رأينا من ينشط للاحتساب وهو دوننا علمًا وسنًا ورأيًا احتقرناه ورفعنا أنفسنا أن نعمل معه وإذا رأينا أسلوبًا لا نرتضيه في الاحتساب قعدنا دون أن نسلك طريقًا غيره والأمر يتسع.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 28 26/08/33 04:21:57 م

إن تزكية النفس وتخليصها من أدواء العجب والغرور والكبر والرياء والسمعة والأماني والكسل والتسويف سبيل إلى صلاحها ونجاتها وطهارتها.. وقبل علاج الأوضاع وإنكار المنكرات وحث أهل الخير على الاحتساب قبل ذلك علينا أن نتجه أولاً إلى نفوسنا فنخلصها من حظوظها ومشتهياتها ومصيبة العبد بنفسه أعظم عليه من مصائب الآخرين وإفساد المفسدين فعلينا أن نتجه أولاً إلى المصيبة الكبرى نعالجها قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[الشورى: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾[الرعد: ١١].

تاسعًا: التدريب على الاحتساب:

من خلال المجموعة الذين اتفقوا على ذلك، والبداية السهلة من خلال جماعة المسجد والحي وزملاء الدراسة والعمل، ووضع برنامج أسبوعي لذلك وعدم الإخلال به، وعقد العزم على أن من أخلَّ بنوبته لظرف أو كسل أن يقضي تلك النوبة في يوم آخر وإذا اعتاد المحتسب ذلك هان عليه واعتاده ولم يجد حرجًا في مواجهة الناس بأخطائهم بالتي هي أحسن.

ولابد قبل النزول للميدان من العدة الكافية ليتدرع بها المحتسب حتى لا تضيع رسالته، وهذه العدة هي عقد الدورات من قبل المختصين المؤهلين في بيان فقه الاحتساب وشروطه وآدابه وطريقة الإنكار وعدم

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 29 26/08/33 04:21:57 م

التعرض لأشياء لا يحسنها أو يجهلها والمحاذير في الأسواق.

ولابد للمجموعة من زادٍ إيماني يتروى به المحتسب في قلبه وسلوكه يعينه على مشاق الطريق وحظوظ النفس وهواتف الكسل والتسويف والتأثر بالقاعدين.

ومما يقوي العمل ويعلي الهمة عرض جهود المحتسبين الحية في الوقت الحاضر وكشف مساعيهم وزيارتهم واستضافتهم للاقتداء والاستفادة من خبراتهم.

عاشرًا: علاج القلب من خطر التهاون في فريضة الاحتساب:

لقد سبقت الإشارة في أهمية الاحتساب إلى الآثار المترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تصيب الأمة؛ من فشو المنكرات واستعلاء أرباب الفسوق، وتسلط الأعداء، ومحق البركات، ولحوق اللعنة، وقبل ذلك غضب الله تبارك وتعالى على من ضيّع أمره وهو القائل: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

ولتعلم أخي الغيور أن الخطورة ليست فقط على الأمة في ذلها وهزيمتها واستكانتها، ولكن الخطورة العظمى هي مصيبة العبد في قلبه إذا هان عليه أمر الله وتبلد حسه ولم يتمعَّر وجهُه لله، ولم يقم بواجبه، وتعامل مع أوامره معاملة الغافل المبرِّر المتناسي المقلد للقاعدين الساكتين،

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 30 26/08/33 04:21:57 م

فيخشى على الساكت من موت القلب أو مرضه وذهاب مادة حياة قلبه، وحياة القلب تكون بخوف الله ورجائه ومحبته والانكسار بين يديه والتلذذ بذكره وحلاوة مناجاته والحياء منه والتعظيم لأوامره ونواهيه.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تُضاع وسنة رسوله ﷺ يُرغَب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق. وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت مآكلهم ورياستهم فلا مبالاة بما جرى على الدين، وخيارهم المتحزن المتلمظ ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه. وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم قد بُلوا في الدين بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون؛ وهو موت القلب، فإن القلب كلما كانت حياته أتمّ كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل»[1].

قال أبو عبد الرحمن العمري: «إن من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله بأن ترى ما يسخطه فتتجاوزه فلا تأمر ولا تنهى خوفًا ممن لا يملك نفعًا ولا ضرًا»[2].

* * *

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٢١).
(٢) صفة الصفوة (١/ ٣٩٨)، حلية الأولياء (٨/ ٢٨٤).

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 31 26/08/33 04:21:58 م

وقفات للمحتسبين

الأولى: شمولية الدعوة:

من المعلوم أن الدعوة يجب أن تكون شاملة لكل باب يقرب إلى الله تعالى؛ من تعليم وتربية وجهاد ووعظ وإغاثة وكتابة واحتساب وغيرها.. وهذه المجالات كل واحد منها يُمهد للآخر ويقويه، فالمربي يعد الدعاة ويعلمهم ويرسم لهم الطريق، ويقوي إيمانهم ويوسع علمهم وثقافتهم والمجاهد في نحور الأعداء يقوي الأمة ويفسح الطريق أمام الدعاة، والمحتسب ينكر المنكرات ويقف في وجه الفساد لتتهيأ الأجواء للدعوة، وصاحب المال يطعم الفقير ويبذل لتنتشر الدعوة.. وهكذا..

فلا يصح أن نُغفل جانبًا من جوانب الدعوة أو نضخمه على حساب آخر. والأصل أن الداعية والعالم لا يتخصص، فهو واقف على ثغر الإسلام يدعو إليه ويدافع عنه كحال النبي ﷺ وصحابته الكرام وسلف هذه الأمة.. فالعلماء على مرّ الزمان لا يفرقون في مواقفهم بين جوانب الدعوة.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 32 26/08/33 04:21:58 م

أخي ـ باذل الخير لدينك ومبتغي وجه ربك ـ لا يخفاك أن حاجة العصر تؤكد أهمية التخصص فيما تحسنه وتقدر عليه وتميل إليه. ومن لا يقوم بالأمر والنهي لا تبرأ ذمته بعلمه أن إخوانًا له يقومون بذلك إذا كان الفرض الكفائي لم يقم.

ولا يتم دين العبد حتى يتواصى بالحق كما في سورة العصر، ولا يلزم أن يترك الداعية عمله ويأتي إلى الاحتساب، بل عليه أن يحتسب على ما في محيطه من منكرات كبيته وحيه وعمله وأقاربه وزملائه ونحو ذلك. فهل استشعرنا الخسران العظيم في سورة العصر لمن أخلّ بواحد من أركانها الأربعة؟! قال تعالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ [سورة العصر].

الثانية: الوقوف مع العلماء والمحتسبين:

إن علينا أن نسندهم بكل ما يحتاجونه ليشعروا أنهم ليسوا وحدهم وليعلموا أن الخير لا زال باقٍ في الأمة يوم يرى العالم والمحتسب أن الناس يتألمون للمنكرات وعندهم الاستعداد للبذل والتضحية.

إن التواصل يعطي القائم بالاحتساب القوة والتشجيع ويستنهض الهمة ويجددها؛ لأنه يرى من حوله جاهزين للاحتساب.. قال شجاع بن الوليد: «كنت أصبح مع سفيان الثوري، فما يكاد لسانه يفتر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهبًا وراجعًا».

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 33 26/08/33 04:21:58 م

والأعرابي قوّى عزم الإمام أحمد على أداء الرسالة لما أُخذ مقيدًا إلى الخليفة، قال جابر بن عامر للإمام أحمد: «يا هذا إنك وافدُ الناس فلا تكن شؤمًا عليهم، وإنك رأس الناس اليوم، فإياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه فيجيبوا فتحمل أوزارهم يوم القيامة، وإن كنت تحب الله فاصبر على ما أنت عليه، فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل، وإنك إن لم تقتل تمت، وإن عشت، عشت حميدًا». قال الإمام أحمد: «وكان كلامه مما قوّى عزمي على ما أنا من الاقتناع من الذي يدعونني إليه»[1].

قال الخليفة المأمون: «لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت القرآن مخلوق. فقيل له: ومن يزيد بن هارون[2] حتى يُتّقى؟ فقال للسائل: إني لا أتقيه لأن له سلطة، ولكن أخاف إن أظهرت القول فيرد عليَّ فيختلف الناس وتكون فتنةً، وأنا أكره الفتنة»[3].

قال سفيان: «إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق»[4].

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٣٦٦).
(٢) وكان رأسًا في السنة والفقه كثير الحديث حافظًا.
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣٧).
(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال (١/ ٣٦).

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 34 26/08/33 04:21:58 م

الثالثة: الاحتساب والإخلاص (يا نعيم المخلصين):

إن القيام بالأمر والنهي يحتاج إلى همةٍ وعزيمةٍ وصبرٍ واصطبارٍ ومقاومةٍ وبذلٍ للعرض والجهد والوقت؛ لأن المحتسب يعترض على شهوات النفوس المحرمة ويتصدى للأهواء المحرمة والأعراف المنكرة وهذا يحتاج من المحتسب إلى الزاد العظيم الذي هو سر التوفيق وهو الإخلاص لله تعالى.

والمخلص الموفق هو الذي يتلذذ بالسعي لتحقيق رضا الله تعالى ولو ذهب كل قدر له في قلوب الناس فإنه لا يبالي، وهو من لا تأخذه في الله لومة لائم، وهو السائر في الطريق سواء أعانه الناس أو خذلوه أو مدحوه أو وشوا به...

والمخلص الموفق هو من أراد اللهُ به خيرًا فأقامه في صفوف الداعين إليه، واجتباه مع خاصته وأوليائه الذين يغضبون من أجله ويجاهدون في سبيله، وتقض مضاجعهم سبلُ المفسدين وانحرافُ الغاوين، والمخلص الصادق هو من رفع اللهُ من قلبه ولسانه رؤية عمله والحديث عن نفسه، بل هو يرى أنه المقصر المفرط المسكين الضعيف، الذي إن لم يتداركه الله بعفوه وفضله فإنه من الهالكين، كما قال الله تعالى عن نبينا الأول آدم عليه الصلاة والسلام وزوجه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

ومن أخلص لربه تخلص من حظ نفسه وهانت عليه المشاق وسهل

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 35 26/08/33 04:21:58 م

عليه بذل راحته وفكره ووقته وماله وولده وكل ما يملك في سبيل الله، ومن حقق الإخلاص عظّم الله ورعى حدوده وقام بأمره وتمعر وجهه لله فيهون عليه الخلق ويجرؤ للإنكار عليهم ومناصحتهم ولم يلتفت لقيمته عندهم أو النظر فيما يشتهون ولا يتردد في قول الحق ولو كانوا يكرهون، ومن أخلص لربه لم ينتظر من أحدٍ جزاءً ولا شكورًا.

ومن بركات الإخلاص شرحُ الصدر وقرة العين وحسن الظن بالله. وأنوار الآمال تملأ الحياة في دروب المخلصين، وتبعث النور في أرواحهم، واليقين في قلوبهم بأن الله يدافع عنهم ويعليهم وينصرهم ولا يخذلهم ولا يسلمهم لحظوظ أنفسهم وويلات أهوائهم ولا يسلمهم لأعدائهم من شياطين الجن والإنس، فيجعل في صدور أعدائهم هيبتهم ومخافتهم وتوقيرهم.

ولا غرابة في ذلك فإن الله تعالى العظيم ينصر من ينصره ويتولى من يتولاه، ويحب من يحبه ويذكر من يذكره، وهو سبحانه صاحب الجزاء العظيم لمن قام له صادقًا مدافعًا عن دينه، ولكن العبد يؤتى من قبل نفسه، في ضعف إخلاصه، وغلبة حظ النفس وسيطرة الهوى، وطلب المنزلة في قلوب الناس والالتفات إليهم.

وفي سياق الكلام عن المنكرات والجهود المبذولة تجاهها يتسلل على خفاءٍ حظُّ النفس، مثل: ذهبنا وعملنا ثم ذهبت وتعبت، فتلتفت النفس إلى اطلاع الناس؛ لمحبة المدح والثناء والإعجاب وهذا قادحٌ في الإخلاص.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 36 26/08/33 04:21:58 م

فيا أيها المحتسب لوجه الله إن مجاهدتك لنفسك لتستقيم على الإخلاص أشد مجاهدة من أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر، فإن استجيب لأمرك ونهيك يُخشَ من العُجْب وإن لم يستجب لك يُخشَ من السب والتجريح والوقوع في عرض من لم يستجب أو الإحباط والقعود، وكلها تحتاج إلى مجاهدة.

وأخيرًا: فبالصدق والإخلاص وحمل نية الخير للغير تزكو الأعمال وتثمر الجهود ولو كانت قليلة وإن ضاعت عند الناس فردوها فهي لا تضيع عند الله تعالى الذي لا يضيع أجر المحسنين ومن صدق مع ربه لا يتعاظم قوة الباطل وتمكينه وانتشاره؛ لأنه كله بيد الله وتحت تدبيره، وهو الذي بيده سبحانه قلوب الخلق، ولو شاء ربك لهدى الناس جميعًا والمخلص الصادق أمام مواجهة المنكرات دائمًا قلبُه معلقٌ بربه؛ يرجوه ويستعينه وينظر في مواضع رضاه، ويخاف على نفسه من خوف غير الله ومن كسل النفس وعجزها وهواها، ويخاف من زيغ قلبه أن ينصرف عن تحقيق العبودية لله إلى الوساوس والإغراءات وهواتف الرياء والسمعة والتزين عند الناس بما يشتهون، ولو كان على حساب الحق. والله المستعان وبيده التوفيق.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 37 26/08/33 04:21:58 م

الرابعة: بين البشائر والآمال:

رغم العوائق وظلمات المفسدين والمستغربين ورغم تسلط الأعداء على بلاد المسلمين وتدخلهم في مناهجهم وأفكارهم وعقائدهم وسعيهم المحموم في تغيير البنية الاجتماعية والأخلاقية والثقافية ورغم انغماس كثير من الناس في المحرمات والمكروهات وركونهم إلى الشهوات وغير ذلك من الآلام والموجعات التي أُصيبت بها الأمة في شبابها ونسائها ورغم الآثار الأليمة التي خلّفتها القنوات الماجنة وشرور الإنترنت وبلايا الجوال وأخطار الابتعاث وهشيم الإعلام والتعامل بالربا وابتلاء البعض بالسياحة الخارجية والحملات المسعورة على المرأة لإخراجها من حدود دينها لتضاهي المرأة الغربية لتكون كالرجل في كل شيء وغير ذلك مما لا يسمح به المقام مما يثير الآلام وينكأ الجراح...

فيا أيها المحتسب رويدك وأبشر فلا تزال الأمة بخير ما دام فيها التناصح والدعوة إلى الله وما دام فيها الأغيار الأوفياء لدينهم وأمتهم وهم يسلكون الطريق الصحيح للإصلاح..

وإليك أخي المحتسب طرفًا من تلك البشائر:

(١) يكفي من قام بالحق صادقًا صائبًا أن الله تعالى معه يعينه ويحفظه ويرضى عنه وينصره ويحقق الخير على يديه فيعيش مطمئن البال واثقًا بوعد ربه يوم أن قام بأمره، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 38 26/08/33 04:21:59 م

﴿يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

فقم بالحق ـ أخي المبارك ـ ولا يهولنك كثرة الخبث وقلة الناصر؛ فإن معك القوة التي لا تغلب والرقيب الذي لا ينام.

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

(٢) بلادنا – بفضل الله تعالى – مهبط الوحي ومنبع الرسالة ومثوى الحجاج والمعتمرين، ومحطّ أنظار العالم كله لهذه القداسة الشرعية، وقامت على الشرع ودستورها الكتاب والسنة، والنظام الأساسي للحكم هو تحكيم الشرع المطهر، وفي كل وزارة سياسة تقوم عليها تنطلق من أسس شرعية وترفض كل نظام أو ممارسة تخالف الشرع؛ كالتعليم والإعلام والصحة والشئون الاجتماعية وغيرها.

وإن بلادنا قامت على هذا الأساس المتين، وارتبط قيامها به، وإن محاربة المنافقين لهذا الاتجاه، إنما هو نسف لأهم مقومات مكانة هذه البلاد...

أخي المحتسب، إن هذا التأهيل الشرعي لبلادنا يمنحك قوةً بأن تنكر كل ما خالف الشرع من نظام أو ممارسة على أرض الواقع. فهو مرفوض ومنكر شرعًا.

(٣) اعمل ولست مطالبًا بالنتائج، فهي إلى الله تعالى، وله سبحانه الحكمة البالغة في ظهور الخير أو خفائه، فهو سبحانه مصرف الأحوال وبيده القلوب. ولم تكن هداية القلوب وظهور النتائج من مهمات

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 39 26/08/33 04:21:59 م

الأنبياء والمرسلين، فضلاً عن غيرهم. وإذا رأيت منكرًا فاعمل بما تستطيع مجتهدًا. وما لا تستطيعه فأنت معذور، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

ولست أغير من الله على محارمه والنبي عليه الصلاة والسلام كان يرى الأصنام حول الكعبة حين بَعْثَتِهِ فلم يُزلها وفي العهد المكي كان الصحابة يأتون إلى النبي ﷺ يشتكون إليه شدة الأذى من المشركين وكان يصبرهم ويقول: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[1].

(٤) بلادنا بفضل الله تزخر بالأخيار والأغيار والذين عندهم الاستعداد للبذل والنصيحة، وهم يحتاجون إلى الترشيد والثقة والقيادة والاستيعاب، فلا نضيق على من يخالفنا في أسلوب النصيحة والإنكار وفق الضوابط الشرعية.

(١) صحيح البخاري، كِتَاب الْإِكْرَاهِ، بَاب مَنِ اخْتَارَ الضَّرْبَ وَالْقَتْلَ وَالْهَوَانَ عَلَى الْكُفْرِ، (٩/ ٢٠). سنن أبي داود، كِتَاب الْجِهَادِ، بَاب في الأسير يكره على الكفر، (٣/ ٤٧)، وصححه الألباني.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 40 26/08/33 04:21:59 م

(٥) نداء الفطرة: اعلم أن من تأمره وتنهاه معه أصل الفطرة وهو التوحيد الذي هو أصل الإيمان فهو قابلٌ للخير، فيحتاج إلى من يدله ويحركه ويثير فيه نوازع الخير ويذكر ما فيه من إيجابيات ويشعره بالثقة والاحترام والأمان والقرب والحنان.

الخامسة: أخلاق المحتسب:

لا بد أخي المحتسب أن تحمل بين جنبيك قلب الرحمة والإشفاق على صاحب المنكر، وأن تحب له ما تحب لنفسك، وأن تدعو له بالهداية والثبات، فإن هذا الخلق أدعى للقبول وأشرح لصدر من تدعو، وأقرّ لعينه عندما تلين وتهشّ وتبشّ له، مُظهِرًا له المودة ومستبطنًا خوفك عليه من عذاب الله وشر نفسه والشيطان. وإذا رأيت المبتلى فاحمد الله على العافية واسأل ربك الثبات ولا يحملك ما أنت فيه من الخير على الشماتة بأخيك واستحقاره أو اليأس من إصلاحه.... قال سليمان التيمي: «ما أغضبت رجلاً فقبل»[1].

قال العلماء: على الآمر أن يكون عليماً فيما يأمر قبل الأمر، ورفيقًا أثناء الأمر، وحليماً بعد الأمر.

إنك ـ أخي المحتسب ـ شريف الرسالة عظيم المهمة، وحتى تؤدي هذه الرسالة بأمانة لابد من خلق الصبر، ورباطة الجأش، والإيثار،

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال (١/ ٢٧).

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 41 26/08/33 04:21:59 م

واحتمال الأذى، والتواضع، واحتساب الأجر، وانطواء القلب على الصدق والإخلاص، وحفظ السر، وستر العورات والزلات.

ولابد أن تستحضر ـ أخي ـ أنك أحوج إلى عفو الله وقبوله ورضاه وتثبيته من صاحب المنكر إلى النصيحة والإنكار؛ لأن العباد يوم القيامة كلهم يقولون: نفسي نفسي، والله المستعان.

السادسة: احذر الموحشات:

إن موقع المحتسب هو موقع الناصح الأمين، الذي يريد لنفسه وللناس الفوز بالجنة والنجاة من النار، ويريد لهم الخروج من الظلمات إلى النور، وأمامه الهدفان العظيمان الماثلان في قلبه من قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

فالهدفان هما: براءة الذمة، ولعل المنصوح يتقي ربه ويعود. ومن كان هذا هدفه وتلك رسالته فإن عليه أن يحذر من العُجْب والتكبر والغرور والإدلال بالعمل والرياء والسمعة، وأن يحذر من النيل من صاحب المنكر واستحلال عرضه بالمجالس وذكر اسمه والتشفي بالتنقيب عن زلاته؛ لأنه ليس لك إلا ما ظهر من حاله.

واحذر ـ يا أيها المحتسب ـ أن ترى نفسك بأنك أنت الغيور المهتم، وأنك أفضل من غيرك، وأن غيرك هو المتبلد المقصر؛ فإن هذا من تزكية

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 42 26/08/33 04:21:59 م

النفس واتهام الآخرين.

وحذارِ ـ أيها المبارك ـ من الاندفاع والحماس الخارج عن الحد الشرعي باسم الغيرة وعدم تفويت الفرصة، ومن خاض الميدان سيتعرض ولابد للأذية والسخرية والسب والاتهام، فاحذر أن تقابل ذلك بالانتقام، وتطلب الثأر لنفسك بأن تُحمِّل صاحب القضية ما لم يفعله وما لم يقله أو تهوِّل الأمر لهوى في نفسك. قال الله تعالى: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ**﴾ [المائدة: ٢].

السابعة: هل يجوز الاعتزال بدعوى فساد الزمان؟

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ**»، قَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**»[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ**

(١) رواه البخاري (٤/ ١٥) ومسلم (٣/ ١٥٠٣).

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 43 26/08/33 04:21:59 م

الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ»(١).

وعن أم بشر بنت البراء بن معرور رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «**ألا أخبركم بخير الناس؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ثم رجل في غنيمة له يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة قد اعتزل شرور الناس**»(٢).

وعن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ**»(٣).

وإلى جانب هذه الأحاديث المُرغبة في العزلة فقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديثُ أخرى تحثّ على الاختلاط بالناس ومصاحبتهم والصبر على أذاهم، فمنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخالط النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**»(٤).

(١) رواه مسلم (٣/ ١٥٠٣).
(٢) رواه أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة (٦/ ٣٤٧٢).
(٣) رواه أبو داود (٢/ ٤) وصححه الألباني.
(٤) رواه الترمذي (٤/ ٦٦٢) وصححه الألباني.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 44 26/08/33 04:22:00 م

وحديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**»(١).

ويمكن الجمع بين هذه الأحاديث ويقال بأن الأصل هو الاختلاط بين الناس لتحقيق الأخوة والتعاون على البر والتقوى وإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد. وبناءً على هذا الأصل المهم فيكون الأصل في العزلة الكلية المطلقة هو المنع؛ لما يترتب على العزلة من تضييع الحقوق وتفويت الفرائض وتعطيل كثير من الواجبات؛ كترك التعليم والتعلم والأمر والنهي وصلة الرحم والقرابة، مع التعرض لكيد الشيطان ووسوسته؛ فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية لقول النبي ﷺ: «**مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ، وَلاَ بَدْوٍ، لا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إِلاَّ قَد اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِم الشَّيْطَانُ. فَعَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَةَ**»(٢).

إذًا فالأصل هو الخلطة والاجتماع ومنع العزلة؛ وما ورد في فضل العزلة فيحمل على أحد وجهين:

الأول: أن تكون العزلة في حق أفرادٍ لا يستطيعون الجهاد ولا الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر ولو خالطوا الناس لتضرروا بالمخالطة وأضروا غيرهم كمن يرى المنكرات فيهيج وينفعل ويغيّر بطريقة غير

(١) رواه مالك (٥/ ١٣٩٠) وصححه الألباني.
(٢) رواه أبو داود (١/ ١٥٠)، والنسائي (٢/ ١٠٦) وحسنه الألباني.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 45 26/08/33 04:22:00 م

مشروعة فيتسرع ويتعدى فيؤدي إلى مضاعفة المنكر وربما يتسبب في إغلاق باب الأمر والنهي ومثل من إذا رأى المنكر تأثر تأثرًا شديدًا، وتعكر مزاجه وتكدرت حياته فلم يهنأ بعيشٍ ولا عبادة وشعر بالغربة دون أن يصنع شيئًا لضعفه عن المواجهة وعجزه، ومثل من تضعف نفسه بسماع الفواحش ومخالفة أهلها ويتأثر بالأسواق ورؤية المتبرجات.

فمثل هؤلاء إذا تحققوا من لحوق الضرر عليهم أو على الناس منهم فقد تُشرع في حقهم العزلة، كفًا لشرهم عن الناس، وحفظًا لهم لعدم تحملهم، ويدل على ذلك قول النبي ﷺ: «**مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**»[1] وقوله ﷺ: «**ثم رجل في غنيمة له يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة قد اعتزل شرور الناس**»[2].

الثاني: أن تحمل أحاديث العزلة على زمان الفتن التي أخبر النبي ﷺ عنها وأمر بالعزلة فيها لقول النبي ﷺ: «**خير الناس في الفتن رجل آخذ بعنان ـ أو قال: برسن ـ فرسه خلف أعداء الله يخيفهم ويخيفونه، أو رجل معتزل في باديته يؤدي حق الله تعالى الذي عليه**»[3].

قال ابن حجر حول تلك الأحاديث المفضلة للعزلة بإطلاق: «وهو مقيد بوقوع الفتن»[4].

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) المستدرك(٤/ ٤٩٣)، قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري(٦/ ٦).

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 46 26/08/33 04:22:00 م

أما في الأحوال العادية التي ليس فيها فتنة عامة فالأصل فيها أن المسلم الذي يستطيع أن يخالط الناس ويصبر على أذاهم ويوصل إليهم النفع الديني والدنيوي هو خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم، بل يعتزل شرورهم ويتفرد بنفسه. وهذا مذهب جماهير السلف والعلماء[1].

الثامنة: الاحتساب والتوكل:

التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله بجلب المطلوب، ودفع المكروه مع فعل الأسباب النافعة، فيعتمد العبد على ربه اعتمادًا كليًا خالصًا بقلبه ويباشر فعل الأسباب بجوارحه غير ملتفت إلى الأسباب بقلبه.

وعبادة التوكل هي شرط الإيمان، وهي نصف الدين؛ لأن الدين عبادة واستعانة، والتوكل هو الاستعانة، وهو شامل لكل حوائج العبد الدينية والدنيوية، فيستعين بالله في كل أمر.

والذي يعنينا هنا: كيف نحقق التوكل في الاحتساب عند سعينا للإنكار، والتحقق من ضبط المخالفات، ورفع الشكوى إلى من يهمه الأمر، واستعانتنا بالمحتسبين ودراسة كيفية إنكار المنكر وحماسنا لكل هذه الأمور وغيرها مما يتطلبه الاحتساب، فإن علينا أن نباشر ذلك في جوارحنا، ولكن يجب أن يبقى القلب معلقًا بالله نرجوه الإعانة، ونسأله التثبيت والأجر، ونستقوي به سبحانه، ونفوّض كل أمورنا إليه، قال تعالى: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

(١) العزلة والخلطة (باختصار وتصرف يسير) ص٤٠ وما بعدها، للشيخ سلمان العودة.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 47 26/08/33 04:22:00 م

والملاحظ أنه في ظل الأحداث وزحمة الظروف وتداعيات المنكرات وإفساد المفسدين ربما يضعف التوكل بركوننا إلى الأسباب وجرينا وراءها والتعلق بها، والتنظير العلمي لمسألة التوكل سهل وواضح، ولكن يبقى التطبيق في الميدان ويقين القلب وثباته واعتماده على الله، وهذا يحتاج إلى زاد الإيمان المصحوب بالأعمال الصالحة وتحقيق التقوى والانكسار بين يدي الله وسؤاله التوفيق والتسديد؛ حتى يباشر الإيمان بشاشة القلب، ويظهر هذا عند الشدة والكرب، فيتبين حال القلب على الحقيقة.

وانظر في حال سيد المتوكلين حينما قال له الناس: ﴿**إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ**﴾ [آل عمران: ١٧٣] في غزوة أُحُد في حال استعلاء المشركين وتفرق المسلمين وزيادة الجراح على النبي ﷺ وذهول الصحابة مما جرى لهم.

فما موقف الرسول ﷺ من تلك المقالة؟ قال الله عز وجل: ﴿**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ونبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقي في النار قال: «**حسبي الله ونعم الوكيل**» فكانت النتيجة: ﴿**قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ**﴾ [الأنبياء: ٦٩].

و«هاجر» زوجته حينما وضعها في مكة مع ولدها إسماعيل عليه

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 48 26/08/33 04:22:00 م

الصلاة السلام وحدهما، حيث لا أنيس ولا مأوى ولا مرعى، فلحقته عندما وضعها وذهب فقالت: «آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذًا لا يضيعنا». بقلب الواثق المطمئن.

وأم موسى وضعت ولدها موسى في صندوق ثم ألقته في البحر مطمئنةً بحفظ الله له، وأنه سيرده عليها ويجعله رسولاً. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِى ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

فالثقة بالله هي سواد عين المتوكلين كما قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ .

التاسعة: الوقوف مع الرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفروعها ومراكزها:

هذا الجهاز هو المظلة الرسمية الممثلة للاحتساب، والوقوف معهم ودعمهم من الأهمية بمكان، مثل زيارتهم والشد على أيديهم وتذكيرهم بمعية الله لهم، وأن الأخيار من ورائهم يدعون لهم ويعينونهم فيما يقدرون عليه. وكذلك مشاركتهم في المناسبات والاقتراح عليهم وإبداء النصيحة لهم فيما يخطئون فيه والدفاع عنهم بالحق والحذر من الوقوع فيهم واتهامهم والإرجاف بهم كما يفعله المرجفون وهم إما مفسد يريد الفساد ويأبى من يقف في طريقه، وإما ناعق مقلد من الجاهلين، وإما خبيث يضيق بالخير وأهله ويأبى كل خطوة في الخير والإصلاح.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 49 26/08/33 04:22:01 م

وأما ما يرِد في الصحف من التشنيع على أعضاء الهيئة وذكر تجاوزاتهم والتنديد بهم، فهذا من الهوى والتحامل وهم يجتهدون، وقد تحصل منهم الأخطاء، ومن هو الذي لا يخطئ؟! والخطأ لا يُقرّ ويُرد على صاحبه بالحسنى والنصيحة والمؤاخذة النظامية وكل فرد يقوم بعمل يتحمل بمفرده نتيجة ذلك العمل، وليس من العدل والإنصاف أن تحمَّل الدائرة كلها خطأ فرد منها، ومن يدعي على أحدٍ دعوى في جريدةٍ أو غيرها يجب أن يثبتها، فإن لم يفعل يجب أن يحاسب بالإجراء النظامي فإن الناس كما لهم حقوق فعليهم كذلك حقوق.

وأما أن تصبح أعراض العلماء والدعاة والمحتسبين كلأً لكل ناعق مغرض أو سفيه مُغرّر به فهذا من الجناية على الدين وأهله، وأما أن يصبح جهاز الهيئات هو المتهم دائمًا وليس له حقوق ومواقف فليس هذا من العدل.

العاشرة: الاحتساب على الصالحين:

يوجد الكثير من أهل الخير الطيبين الصادقين المبادرين للصالحات يوجد منهم من لا يرفع رأسًا بالاحتساب لسببٍ أو لغير سبب، وقد سبقت الإشارة لذلك في فصل إشاعة الحسبة في الأمة وتطبيعها عليها، والغرض هنا الاحتساب من قبل الأغيار على أولئك الصالحين وتذكيرهم بهذا الأمر العظيم، وأنه جانب الدين العظيم، وهو صمام أمن المجتمع،

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 50 26/08/33 04:22:01 م

وتحذيرهم من جريمة السكوت فإنها أعظم من جريمة المنكرات وإعلانها، وقد توعد الله تعالى من عصاه ومن سكت ولم يستثنِ إلا المصلحين.

فقال تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥]، وقال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴾[هود: ١١٧].

فلابدّ من زيارة المودة والنصيحة لكل من تعرف من أهل الخير، وتفتح له الطريق، وتبشره بالآمال، وتدله على الأساليب والطرق، وتؤمنه بأن الأمر سهل وواضح.

ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها. وتذكره بأن من صلحت نيته واستقامت طريقته فإن الله يعينه ويجعل له القبول عند الناس ويكتب الله الخير على يديه.

قال الإمام ابن النحاس: «من خلصت نيته وصفت من شوائب الرياء طويته يقلِّب الله له قلوب الخلق بالمودة، ويزينه في أعينهم ليحبوه وإن كان قد أتى بما يكرهونه»[1].

وعلى المحتسب أن يرفق بمن يدعوه للاحتساب، ويمهد له الطريق ويأخذه بالتدرج، ويطرح أمامه الخيارات ليختار ما يقدر عليه وما هو مقتنع به.

(١) تنبيه الغافلين (٨٧٠).

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 51 26/08/33 04:22:01 م

الحادية عشرة: زاد المحتسب:

إن المحتسب يغشى أماكن المنكرات ويواجه أصحابها، فأمامه الفتن والسخرية والعوائق وحظ النفس والمخذلون والمغرضون، وغير ذلك.

إن هذا العناء يحتاج إلى رصيدٍ من الأعمال الصالحة وإلى رصيدٍ إيماني يشرح الصدر ويبارك العمر ويقر العين بالثبات وحلاوة الإيمان، من خلال القراءة في الإيمانيات وأعمال القلوب، ومن خلال الجلسات المنتظمة مع زملاء الميدان، ومن خلال زيارات الصالحين المصلحين؛ يقول النبي ﷺ: أولياء الله الذين إذا رؤوا ذُكر الله[1].

وكان الصحابي يلقى أخاه فيقول له: «اجلس بنا نؤمن ساعة»[2].

وهذه اللقاءات بها يقوى العزم وتتضح الرؤية وتنقل الخبرة ويستدرك الخطأ.

ومن الزاد المهم للمحتسب التقويم والمراجعات والتجديد في الأساليب وزيادة الوعي في أرض الواقع.

ومن الزاد فقه الاحتساب بدراسته واستيعابه؛ حتى نتعبد لله على بصيرة، وحتى لا نؤتى من قبل أنفسنا.

ومن الزاد أن يكون له برنامج علمي من خلال دروس المشايخ والقراءة الفردية والمحافظة على الأوراد.

---

(١) السلسلة الصحيحة للإمام الألباني، المجلدات الكاملة ١-٩ (٤/ ٢٣٢).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٦٤).

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 52 26/08/33 04:22:01 م

لكن أن يقتصر الأخ على العطاء والبذل فقط دون أن يأخذ ويتقوى بزاد العلم والإيمان فإن هذا خللٌ. وهذا المصطفى ﷺ أعظم الناس رسالة وأكثرهم شغلاً وأقواهم إيمانًا لم يمنعه ذلك من الزاد لنفسه من قيام الليل وقراءة القرآن وكثرة الاستغفار. فلا يصح أن يترك المحتسب وغيره هذا البناء الإيماني الذاتي بحجة الانشغال.

الثانية عشرة: الاحتساب والتوبة:

أخي المبارك، يا من تسعى في طلب نجاتك وفكاك ذمتك وبراءتها هيا نحن وإياك لنتوب إلى ربنا من كل ذنب ومن ذلك التوبة من التقصير في الاحتساب. فكم تركنا من منكر ومررنا عليه ساكتين غير مبالين بغضب الله على من عصاه في ترك الإنكار، وكم مررنا على منكر وبحثنا عن المعاذير لنبرر لأنفسنا القعود. وكم طرحنا المسئولية على غيرنا وكم غمرنا اليأس عند شيوع المنكرات وكثرتها وهذا اليأس من ضعف الإيمان وإلا فأين اليقين بنصر الله لمن ينصره وبمدافعة الله عن الذين آمنوا؟! وأين اليقين بسنة المدافعة بين الحق والباطل لقوله تعالى:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[البقرة: ٢٥١]؟!.

وإنه والله ليخشى على من تهاون بهذه الشعيرة العظيمة أن يبتلى بموت القلب وتبلد الحس والركون إلى الدنيا وشهوات النفس ويخشى

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 53 26/08/33 04:22:01 م

على من فرّط بأمر الله أن يعاقب بالانشغال بالنقد والتجريح واتباع الهوى والدعوة إلى القرب من المناهج المنحرفة الخارجة عن منهج السلف الصالح الداعي إلى التمسك بالكتاب والسنة على فهم السلف؛ لأن من لم يقم بأمر الله مخلصًا متبعًا قام بأمر غيره ومن لم تشغلْه الغيرة للدين شغله طغيانُ النفس والهوى واجتذبته هموم هذه الدنيا وعوائقها وأكدارها من الأموال والأزواج والأولاد ورفقاء الفراغ.

فهيا ـ أخي المبارك ـ للتشمير عن ساعد الجد وتذليل العوائق واغتباط الآمال بحسن الظن بالله واغتنام العمر قبل فوات الأوان وقبل أن تقول نفسٌ يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وأول العوائق وأشدها هي النفس الأمّارة بالسوء.

الثالثة عشرة: هل تسمع الدعوى في أهل الحسبة؟

لا تُسمع الدعوى في أهل الحسبة، ولا يُفتح باب الجرح فيهم بخلاف غيرهم، كما أن شهادة أهل الحسبة في حق الله ليست كشهادة غيرهم؛ لأنهم إنما يقولون بواجبهم غيرة لله وحفظًا لحرماته من أن تنتهك[1]. جاء في فتاوى العلامة محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ ما ملخصه:

«فقد جرى الاطلاع على الأوراق المكاتبة المشفوعة الواردة إلينا فيكم برقم (...) المتعلقة بما رفعه فضيلة الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف بالحجاز حول قضية المتهم بالسكر (...) وما أجراه قاضي المستعجلة الأولى

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص٣٤ للشيخ خالد بن عثمان السبت.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 54 26/08/33 04:22:01 م

بمكة من تمكينه المتهم من الطعن في شهادة أعضاء الهيئة الذين شاهدوه في حالة السكر، كما جرى الاطلاع على ما أجاب به قاضي المستعجلة الأولى

ووجدناه بناه على خطأ في أصل القضية وذلك أن مسألة الحسبة ليست من باب الدعوى والإجابة، ولا يشترط لها شروط. بل هي من إخبار الشخص بما شاهد، فهي كالبينة المثبتة، ولا تفتقر إلى إقامة دعوى.

ولهذا صرح الفقهاء ـ رحمهم الله ـ بأنه لا تصح ولا تسمع دعوى حسبة بحق الله تعالى كعبادة من صلاة وزكاة وحج وحد زنا وشرب مسكر ونحوه، فهذه المسائل وأشباهها لا تسمع الدعوى فيها، بل لا تصح إقامة الدعوى فيها؛ لأن الشاهد بها لا يجر لنفسه نفعًا ولا يدفع عنها ضررًا.

وحيث تقرر أن هذا ليس من باب الدعوى والإجابة، وتقرر أيضًا أن الأشخاص القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معروفون بالعدالة والأمانة ـ فإجراء قاضي المستعجلة الأولى وفتحه باب الجرح فيهم إجراء في غير محله فينبغي له هداه الله أن ينتبه لمثل هذا، والسلام عليكم»[1].

الرابعة عشرة: درجة الإنكار بالقلب أضعف الإيمان:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «مراده أنه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن، بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان وليس مراده أن من لم ينكر لم يكن معه من الإيمان حبة

(١) فتاوى محمد بن إبراهيم (٦/ ١٧٩- ١٨٠)، (١٢/ ٣٩٢- ٣٩٣).

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 55 26/08/33 04:22:01 م

خردل، ولهذا قال: «**ليس وراء ذلك**»، فجعل المؤمنين ثلاث طبقات. فكل واحدٍ منهم فعل الإيمان الذي يجب عليه»[1].

ويغلط البعض فيظن أنه ما دام كارهًا للمنكر فلا بأس عليه بمخالطة فاعله والجلوس معه حال مواقعته للمنكر، أو البقاء في مكانٍ فيه منكرٌ في الشرع. وهذا مخالفٌ لما دلّ عليه القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ** ﴾ [النساء: ١٤٠].

وهذا نهيٌ صريحٌ عن مجالستهم حال مواقعتهم لهذا المنكر، فما دام لا يقدر على الإنكار باليد أو اللسان فلابد إذًا من مفارقته للمنكر. هذا هو الصحيح[2].

الخامسة عشرة: تكامل الاحتساب:

لا يقتصر الاحتساب على الإنكار فقط ثم ينتهي الأمر. والإنكار مطلوب شرعًا وهو ردة فعل واجبة تجاه ما يطرأ من منكرات، وما هو قائم منها، وما يخطط له في المستقبل.

وثمّت جوانب أخرى للاحتساب غير الإنكار مثل توعية الناس بأخطار المنكرات وآثارها على القلوب والسلوك وعلى المجتمعات وأنها سببٌ لهزيمة الأمة وجرّها إلى الهوان وسوء الحال ومثل السعي لإيجاد برامج وقائية للناس بديلة عن المشاريع المحرمة، مثل وسائل الترفيه المباحة، ومثل

(١) الفتاوى (٧/ ٤٢٨).

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص٣٣٥.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 56 26/08/33 04:22:02 م

الأسواق الخاصة بالنساء والمستشفيات النسائية الخاصة منعًا للاختلاط.

ومن جوانب الاحتساب: رسم الخطط والبرامج لمكافحة المنكرات الواقعة، ودرء ما يخطط له من منكرات بخطوات استباقية، وبهذا يلتقي الاحتساب مع الدعوة إلى الله تعالى ليكون ركنًا من أركانها، فلا تقوم الدعوة إلا به، فبه يسدد الخلل ويحافظ على سفينة المجتمع من الغرق.

السادسة عشرة: التجديد في وسائل الاحتساب:

إن وسائل الاحتساب المعروفة كالكتابات والزيارات والمناصحات الفردية وغيرها هي وسائل ضرورية للمحتسبين ولكن المنكرات تزداد وتتطور وتنتشر بين الناس انتشار النار في الهشيم عن طريق الوسائل الحديثة كالقنوات والإنترنت والجوالات وغيرها... ولما ضعف الإيمان عند الناس واستحكمت فيهم الشهوات واستعبدتهم الدنيا سهل عليهم استقبال المنكرات واستحسنوها وألفتها نفوسهم، فصارت عندهم كالعادات المتعارف عليها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن هنا كان لزامًا على أهل الاحتساب أن يجددوا في وسائلهم الاحتسابية ويطوروا أنفسهم، ويتدربوا على تقنيات العصر التي تخدم مهمتهم العظيمة الغالية؛ وذلك بدخولهم في الإعلام والمشاركات في القنوات والإنترنت والجوالات وغيرها من الوسائل النافعة في هذا المجال.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 57 26/08/33 04:22:02 م

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الهادي إلى القربات، والمحذر من البليات، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد...

فلقد عشنا ـ أخي القارئ ـ في ظلال هذه الوقفات الاحتسابية، ولعلها تركت في نفسك حاديًا يدعوك لإدراك أهمية هذا الموضوع شبه الغائب في حسّ الكثير منا ثم قادك الشوق لبلوغ رضا الرحمن لتظفر عنده بالجنان يوم أن علمت قول نبيك ﷺ حين يقول: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَومِ يَلْقَاهُ**»[1].

فهل هاجت بقلبك حسرات الندم على التفريط، أم وسعك ما وسع الغافلين المعتذرين عن النهوض بهذه المسئولية العظيمة، فوقعت في شباك الهوى ومصائد النفس والشيطان والتأسي بالقاعدين؟!

والنية معقودة إن شاء الله على مواصلة المسير في الكتابة حول التربية الاحتسابية؛ لنتطبَّع عليها وتأخذ مجراها في حياتنا، حتى ننهض بهذه

(١) موطأ مالك (٥/ ١٤٣٤).

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 58 26/08/33 04:22:02 م

الشعيرة العظيمة التي قام بها الأنبياء والمرسلون والمصلحون..

وبعد أن عرفنا أهمية الاحتساب وخطورة التفريط فيه وضرورة القيام به نسأل الله أن نكون من الموفقين المنتفعين بما نسمع ونقرأ ونقول. فنسأل الله أن لا يكون حظنا العلم فقط فتقوم علينا الحجة بتفريطنا ثم لا نعمل فنكون من الذين يقولون ما لا يفعلون عياذًا بالله تعالى.

فما أحرى العبد الناصح لنفسه أن يعيد حساباته ويقوي إرادته ويعقد العزم على القرب من أولي العزم القائمين بهذه الفريضة التي كادت أن تغيب.

وفي الختام أرجو المولى الكريم أن يمنّ علينا وعليكم بالدعوة إلى دينه، والجهاد في سبيله، وأن نكون من السابقين المقربين المخلصين المقبولين، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأحبهم وأحبوه، وتولاهم وتولوه، وذكرهم وذكروه، ونصرهم ونصروه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 59 26/08/33 04:22:02 م

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.
* صحيح البخاري دار طوق النجاة، ط أولى ١٤٢٢.
* صحيح مسلم دار إحياء التراث العربي.
* سنن الترمذي ، مصطفى البابي الحلبي، ط ثانية، ١٣٩٥.
* سنن أبي داود المكتبة العصرية.
* سنن ابن ماجه دار إحياء الكتب العربية.
* موطأ الإمام مالك مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط١ ١٤٢٥.
* مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، ط أولى ١٤٢١.
* إعلام الموقعين، دار الكتب العلمية، ط أولى، ١٤١١.
* سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط ثالثة، ١٤٠٥.
* صفة الصفوة، دار الحديث، ١٤٢١.
* حلية الأولياء، دار السعادة، ١٣٩٤.
* موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين للقاسمي، دار الكتب العلمية، ١٤١٥.
* الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٢٤.
* معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، دار الوطن، ط أولى١٤١٩.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 60 26/08/33 04:22:02 م

* شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ط ثانية ١٣٩٢.

* سنن النسائي، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط ثانية ١٤٠٦.

* فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، ١٣٧٩.

* مصنف ابن أبي شيبة، مكتبة الرشد، ط أولى،١٤٠٩.

* فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مجمع الملك فهد، ١٤١٦.

* الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي.

* فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم.

* تنبيه الغافلين للإمام محيي الدين أبي زكريا أحمد بن إبراهيم بن النحاس الدمشقي.

* العزلة والخلطة للشيخ سلمان العودة.

* الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للشيخ خالد بن عثمان السبت.

* رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية.

* رسالة أوثق عرى الإيمان للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله.

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 61 26/08/33 04:22:02 م

الفهرس

المقدمة	٥
مسائل البحث	٧
تعاريف مختصرة	٨
أهمية الاحتساب وخطورة التفريط فيه	١٠
حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٥
لماذا انحسرت الحسبة في الأمة؟	١٦
كيف ننمي الاحتساب في ضمير الأمة؟	١٩
أولاً: معرفة الواجب الشرعي	١٩
ثانيًا: حسن الظن بالله تعالى	٢٠
ثالثًا: شرف الرسالة	٢٢
رابعًا: أن يكون الاحتساب عند المسلم وردًا يوميًا	٢٤
خامسًا: نشر ثقافة الاحتساب في المجتمع	٢٥
سادسًا: اجتماع أهل الغيرة وتفاهمهم للتنسيق والدراسة	٢٦

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 62 26/08/33 04:22:02 م

سابعًا: تربية الشباب على الاحتساب	٢٧
ثامنًا: تربية النفس	٢٨
تاسعًا: التدريب على الاحتساب	٢٩
عاشرًا: علاج القلب من خطر التهاون في فريضة الاحتساب	٣٠
وقفات للمحتسبين .	٣٢
الأولى: شمولية الدعوة	٣٢
الثانية: الوقوف مع العلماء والمحتسبين	٣٣
الثالثة: الاحتساب والإخلاص	٣٥
الرابعة: بين البشائر والآمال	٣٨
الخامسة: أخلاق المحتسب	٤١
السادسة: احذر الموحشات	٤٢
السابعة: هل يجوز الاعتزال بدعوى فساد الزمان؟	٤٣
الثامنة: الاحتساب والتوكل	٤٧
التاسعة: الوقوف مع الرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفروعها ومراكزها	٤٩

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 63 26/08/33 04:22:02 م

العاشرة: الاحتساب على الصالحين ٥٠
الحادية عشرة: زاد المحتسب ٥٢
الثانية عشرة: الاحتساب والتوبة ٥٣
الثالثة عشرة: هل تسمع الدعوى في أهل الحسبة ؟ ٥٤
الرابعة عشرة: درجة الإنكار بالقلب أضعف الإيمان ٥٥
الخامسة عشرة: تكامل الاحتساب . ٥٦
السادسة عشرة: التجديد في وسائل الاحتساب ٥٧
الخاتمة ٥٨
المصادر والمراجع ٦٠
الفهرس ٦٢

الاحتساب مسؤولية وحساب.indd 64 26/08/33 04:22:02 م